مفتاح العمّاري

رجلٌ بأسْرهِ يَمشي وحيدًا

شعر

الناشر

دار غربة / بيروت

طبعة أولى 1993

الإهداء

إلى لطيفة

إلى أطفالي: لينا وريما ووعد و أحمد

الشيطانةُ النائمة

كما لو أنني أهذي

رأيتكِ أيّتها الشاردة، وأنت تهتفين نحوي:

توقفْ أيّها الجنديّ.

كما لو أ ننني أحلم

أ نزعُ معطفي العسكريّ

و أ جلسُ قريبًا مِن شواطئكِ القاسية

أ فكّرُ فيكِ بحواس مرتبكة

وحزن شفيف.

أنتِ يا صديقتي الماكرة

يا شيطانة الشعر الذي يولد

لكي يرضعك.

بأيّ مستقبل سأفكر فيك؟

فالذي يخطفك يكونُ شبيهًا لرغبتكِ في اللعب

مقطوعًا من شجرةٍ منقرضة

حتى لا يُعاوده الحنينُ إلى أمّه

مختلفًا عن أقرانه

يدخلك متأبطًا هدوءَه الحالم؛

شاعرًا

يقودُ الخيالَ مِن أذنيه.

**

هذا الخجولُ الفاحشُ.

قريني الذي خانني،

علَّمني كيف أهْوَى

وكيف أعبرُ واثقًا باتجاهكِ

في وداعة الأسرى.

لأكون أول وافد يضعُ حدّا لهيمنة العطش.

أهبطُ إلى شوارعكِ الحارة

الخانقةِ أوهامَ عابريها،

في ظهيرة طاغية جدًا، والهواءُ يترنّح

بأسنانٍ وسخةٍ وفمٍ كريه،

طاغية تراوحُ كسلحفاة مقلوبة على قفاها

**

الذي مَرّ ليس مثلي.

له رغبة حصانٍ عجوز

رغبة نافذة معطّلة.

**

ليس مثلي

الشاعر الذي رافق العسكريين

وهم يقفزون من الشقوق

وأرفف الغبار .

**

مثلي مَنْ يخطفكِ بعيدًا

حيث لا أحد يطرقُ البابَ سوانا أيّتها

الأمّارةُ بكل الغوايات.

الغامضة لأنّها تضحكُ دائمًا

وتعدّ القهوة للأصدقاء

المستبدّةُ: تهبُ المستقبلَ عصيرَ أنوثتها.

أحبّها يا ربي،

هذه الشيطانةُ الجميلةُ النائمةُ في سريري

بشعرِها الجامح،

وقامتِها السادرةِ في المعصية.

بشعرها الذي ربّته مشاغبًا

علمتهُ الرمايةَ وركوبَ الخيل.

الحنونةُ

حاضنةُ القصائدَ والشهوات.

لم تولد بعدُ، حين ذهبتُ إلى الحرب.

لم توجد الحريةُ الفاتنة

لكي أقبّلها أمام المسجد

في نهارٍ كبيرٍ وزاحم .

أ غازلها داخل السوق كأننا وحدنا.

لم أدخل المدينة بعد،

كبدويّ خاسر .

**

فترفّقي.

مَا مِن ذكرٍ ليس مشروطًا بك.

كلهم يشتهونك مقشّرة فوق المائدة،

مفروكة بالعطر،

مبللة بمزيد من صراخكِ الفتيّ.

لكن مَا مِن أحدٍ يقوى على هزيمتك،

لأنكِ عصارة كرومٍ متوحّشة.

أيّتها البدويّة المدللة

الطفلة المسنّة المأخوذة باللعب.

المرأة الضالة

الابنة الوحيدة في سلالة الذكور .

العنيدة؛

فقدت نصف سكّانِها لتكون هي،

وتبقى،

معركتي المؤجلة..

الآمرة بالتوقف

استعدّ أيّها الجنديّ:

أنا خندقك الأخير .

فتزوّد لحربك المؤبّدة

بنارٍ لا تأفل

وهواء لا يحترق.

أنتِ المنزوعة سلفا لأجلي،

المُقتَلعة بسطوة الريح

لكي أكون إلى جوارك أبدًا

أ هرّبكِ خلسةً مِن حلم إلى آخر

يا وشمي التائه بين الدلالات

يا لغتي التي تجدّد قاطنيها.

ويا أمّي الصغيرة جدًا.

أنا المغرور بك

العابر مكتفيًا بنفسه، لأنّكِ معي.

لأنك امرأة تشبه نفسها

لَمْ أرها تخافُ الغد أو تشتكيه.

أسمها يكفيها لإثارة الفتنة.

عنقُها رحيل لا يفسّر.

وعنقُها سعيدٌ، لأنه عنقها.

عيناها يرتبكُ فيهما المعنى.

وفمُها يبشّرُ المؤمنين بالجنة

حيث يقف العابد خاشعًا

:شكرًا يا ربي على اختراع النبيذ والفاكهة.

يداها،

أعترفُ أني حين لمستُ إحدى يديها

ارتجفتْ مثل بلادٍ خائفةٍ مِن شغب

عاشقيها.

قالت:

توقفْ أيّها الجنديّ

أن تذهب بعيدًا

يغدو الضحك مقلوبًا

ويصير صدري بلا مأوى.

قلت:

لمثلك يتطوع الخيال فدائيًا

يكرسُ حواسه لمشيئتكِ وحدها

ولأجلك تُرتكب المؤامراتُ

ويغدو كلّ شيء ممكنًا؛

- المستقبلُ بثيابٍ نظيفةٍ

وغرفٍ مرتّبة.

المقاهي تستردّ أمسياتها الحميمة،

والكلامَ براءته العابرة.

**

_ توقف أيها الجنديّ

لستُ مدينة مستباحة

لكي تحتلني

ثم تنسحب حين تشاء.

قلتُ:

أحبّكِ أيّتها الكافرة

سأهبكِ ما تبقى من شعبي

ليزرع حواسّكِ بالقبلات.

* أحبّها يا ربي

لها إذا أرادت

رعايا هذا الجسد

عبيد طيعون

يرتبون لها العالم كما تشاء.

فساعدني يا ربي على بلواي

أنا الفتى الخائف

الشاب العربيد

العابرُ الضروري

الضيفُ، خالقُ الوقتِ والمسرّات

الزوجُ الآبقُ الوفيّ

والولدُ الشقيّ

حاملُ الألعاب والمطر.

ساعدني

قَبلَ أن أخسرَ مفاتيح بيتي.

: كان بيتي قريبًا مِنْ بحرٍ لا أراه

شرفتُه تُطلّ على محطة الحافلات،

وباعة الحصر والأغطية.

كان بيتي بعيدًا.

_ ساعدني

لكي أقول:

أرجو المعذرة

أيتها البنتُ العاقّة

يا فتنةَ الشعراءِ

يا قِبلة التجارِ والقراصنة

لأني الليلة حلمت كثيرًا

فامتزجت ألوانُك بي.

كأن أراكِ

بين عيني وبيني

ولا أمشي إلاّ بك.

وأنّي كبرتُ كثيرًا

وشطحتُ كثيرًا

فصنعتُ لك

نهرًا بحجم الحصير

وشيّدتُ وطنًا

فوقَ المخدة.

_____

طرابلس، 12ديسمبر 1991

()

بسيطا وكفى

بسيطًا وكفى

لي بيتٌ

أقصى مما تشتهيه الحروب

وأبعد من منازل الحدس طريقي.

بسيطا أقبِّلُ أطفالي كل صباح

أشتري لهم الورق والأقلام .

وأفرحُ حين أراهم يرسمون

فراشات ملونة

وشموسًا جذلى.

بسيطًا أبتكرُ ألعابًا ل "وعد"

وقهوة نظيفة للأصدقاء .

()

غزل

عيناكِ مشيةُ قمرٍ سكران

نصفُه حلمٌ معتّق

نصفُهُ الآخر عسل

وقلبي مركزُ الدائرة.

عيناكِ مشيةُ ليلٍ وحيد

مشيةُ جيوشٍ أرملة

مشيةُ إمبراطور خجول

طريقان للكارثة.

أنَا آخرُ جنديّ في طابور الأسرى

حافيًا أسيرُ على خُطى السهروردىّ

بيدين خاسرتين؛

ألملمكِ مِن دورة الزوبعة.

قامتان لمشيةِ الفاكهة

صدركِ الذي أيّنما يذهب

يصالحُ الضوءُ

استدارةَ الظلام

ينفجرُ في دمي

عواء الريح

وتنهض فحولةُ العاصفة

قامتان لعطر ثرثار

قلقتان

لأن الشوارع تستعير دخان حرائق أخرى

وتنتعل أحذية خائنة.

مغرورتان

لأن الحرية بيتي

الذي فيه كل شيء

عدَا السقفُ

والمدفأة.

مرة؛

حين عادَ الجنديُّ

ولمْ يجد حطبًا في المدفأة

أحرقَ حذاءَه الثقيل

ونام .

قامتان لمشية الفاكهة

هما تفاحتا وعدٍ قديم

تتمردان على شجرة العائلة.

هما كأسان للحظ

تكفيان لأن يسقط الوهمُ هنا.

في الليل الذي يُشبه عزلتَه

هنا، الشعراءُ يبتكرون أجنحة للضوء:

ثلاثةُ أطفال

من حبر نظيف

صنعوا قمرًا شابًا

قذفوا به إلى السماء .

أكبرهم كان جنديًا.

حين كثرت أسباب الظلمة

اكتشفوا أن الظلّ

هواءٌ ضروريّ

وأنّ السكوتَ قفصٌ آخر للخيال.

قامتان لمشية الفاكهة؛

أينما يذهب صدرُكِ

ينسحبٌ المعنى بعيدًا

تاركا إمبراطوريته

مرتعًا للشعراء وحدهم.

صدركِ أيتها الغامضة

قامةٌ للتوق الذي كأننا

قامةٌ للمعرفة.

_____

طرابلس: شتاء 1990

()

منازل فسيحة

الليلة وقفتُ طويلا أمام المرآة

كان صدري يقاسمك العالم.

نمشي بهدوء أرستقراطي

كلانا ملتصقًا بالآخر .

**

وأنتِ مَعي

تبني اللغةُ منازلَ فسيحةٍ لوقتٍ أليف

ويصيرُ لا أحد في المدى

فقط

أنت الصوتُ

والنساءُ من خلفكِ الصدى.

()

ـــــــــــ رجلٌ بأسره يمشي وحيدًا

وحيدًا مكتفيًا بالذي أنا،

بالذي جسدي في الثيابِ البسيطةِ

أ ركضُ كما لو أنّ البروق أحذيتي.

و حيدًا أعوي

: أيّتُها الذئبةُ،

خُذيني مِن فمي.

بعيدًا عن صدركِ

يغدو كلّ شيءٍ في غايةِ الفسادِ والأبهة

: العصافيرُ ترتدي خوفَها الغامض

والشرفاتُ تهذي بشموسٍ منقرضة.

وحيدًا

كلّ ليلةٍ

بأذنين خائفتين

أترقّبُ سقوطَ بيتي.

خذيني من فمي

أيتها الذئبةُ بدأتُ أتعب.

مِن زوجتي،

حين ترتّبني يداها بخيال واثق

قُمْ يا عزيزي طلعَ الصباحُ، بدأتُ

أتعبْ.

مِنْ أطفالي وهم يكبرون

دون ألعابٍ وحلوى،

مِن مؤامرةِ المياهِ

في أحيائنا الرثة

مالحةً وتهرب،

بدأتُ أتعبْ

مِن البدو وهم يقتحمون الشوارعَ

بسراويل الجينز .

كل شيء في غايةِ الفساد والأبهة.

لا الطمأنينة سقفٌ

ولا النساء هُنّ النساء

وحيدًا وكفى

باطلٌ كلّ حلمٍ لا يُفضي إليّ

وكلّ احتفالٍ بموتي هُراء.

الحبرُ مملكتي،

دائمًا لي خبرٌ أسمّيه

ألونُ مدينةً أطفالها لا يعطشون

وأرسمُ امرأةً أخرى.

وربما ألعبُ بالنارِ التي ليست معي،

ثم وحيدا أعوي:

أيتها الذئبة خذيني من فمي.

**

ثلاثين صيفًا

حافيًا يأتي المساء.

كان لي جسدًا هُنا ويدين،

وكانت نافذتي معي.

: قمر يسكب شكله على أمي

و أنا لست أفهم،

لماذا كان الحبُّ سرّيًا للحدِّ الذي

صرتُ فيه: لست أفهم.

دُليني يا أمّي عليّ.

قالت: مرضعتي الريحُ فاتئدْ،

لا حليب في القدحِ

لكي تشرب.

قلتُ: لا بأس

سأكتفي بخيالي الأوحد

وليكنْ كلّ شيء

في غاية الفساد والأبهة.

فنحن هادئون،

هادئون جدا،

دائما نركبُ الحافلة

نعبرُ إلى اليوم الذي يلي

حيث الوجوه تنظر حائرة الى

ظلي وتفكر:

رجلٌ بأسره

يمشي وحيدًا.

يعوي:

أيتها الذئبة

خذيني مِن فمي.

_____

طرابلس: ربيع 1991

()

فرح

يا سيدي

الوسادةُ فكرة طيبة للرحيل

فلك أن تقطفَ العنبَ الآن

وأن تحتكرَ الشمس إذا شئتَ

فكلّ الحقولِ التي

عالجها خيالُكَ في السرّ

اجتمعت خمورُها في فمي.

طرابلس 1987

()

الحافلة

لا أحد يذهب

لا أحد يجيء

فقط أربعة أشخاص في الحافلة

امرأة ورجلان،

وصبية في العاشرة

تحب الموسيقى والرحلات.

المرأة تحكي عن اخر مسرحية للجنون

وتضحك ملء الذاكرة.

لا أحد يذهب

لا أحد يجيء

فقط أربعة أشخاص في الحافلة

امرأة ورجلان

وصبية في العاشرة

متعبة بعض الشيء

ربّما لأن أباها

سقط سهوًا من حكاية الطريق.

لا أحد يذهب

لا أحد يجيء

وأنا الضاج كقنبلة موقوتة في صالة رقص،

أتوهّمُ قيادةَ العالم

حين أنظرُ إلى المرأةِ الجالسة على

مرمى الأذن.

وأتوجّس لعبةً غامضة.

:كان الثدي هاتفًا بالرغبة

يقتفي تعاسةَ فمي

حيث ثمة صحراء تغرق في الهذيان

والحروب الخاسرة.

لا أحد يذهب

لا أحد يجيء

رتّقتُ لغتي برباطة الجأش

ربّما أكثر

ربّما أقلّ

ثم حزمتُ هزائمي

وأطلقتُ سراحَ يدي.

**

في الصباح

توقفت الحافلة.

الحمّالون أصيبوا بصدمة الحقائب

الغائبة.

الزوجاتُ البائسات كُنّ أكثرَ استياء.

قلتُ:

أرجو المعذرة

ومشيت.

———

تونس العاصمة، صيف 1988

()

رغبة _____

بأصابع منزوعة الذاكرة

أجهشُ بامرأة تغامر ضدي.

ننامُ على سرير الزوبعة،

أغطّيها بخيالٍ مراهق

وحلمٍ نظيف.

**

امرأةٌ تحبني وتغامرُ ضدّي،

وليلٌ كثير.

نضربُ الشمسَ على قفاها

لتذهب إلى غرفٍ أخرى.

()

شطحات: _____

_____ مؤامرة

لأمرٍ في نفسه

غادرني وجهي.

لأمر في النساء

غادرني قلبي.

ولأمر في الخمر

صار لزاما عليّ

طاعة الأمر.

()

لعب

ألعبُ،

لأنني أعشقُ أن أموتَ

في اللعبْ.

تارةً أراوغُ الريحَ

وتارةً أدبّرُ هلاكًا لتلك التي

أراودها في التعبْ.

وهكذا:

يحدثُ أن أموتَ

في اللعبْ.

()

صديق _____

كان صديقي يُشبه الذي كان.

رمينا شباكَ الشعرِ رميتين.

: سمكةٌ في خيال الجائع،

امرأةٌ قلقة في جسدِ الرجلِ الواهم

خمرٌ في الجنة للذين

اتقوا الحب مرتين.

كان صديقي يشبه الذي كان.

وحين تباعدنا

باعدتنا النساء.

ولكي أعاود الصيد

سحبتُ شباكي

ورتقت مزقتين

: مزقة باتّساع الفم

ومزقة في شراهة العين.

()

_____ من أحوال النار

حين تتشابه أسنانُ المشطِ

وأسنانُ الذئب:

ترتبكُ اليدُ في أمرِ الرغيف

والشمسُ في أحوالِ النهار،

والجمرُ

يتآمر على روعة الجمر.

إذن مزيفة هي النار التي

تأكل نفسها ولا تضيء.

()

نساء

أجملُ ما في النساء

كونهن نساء.

أجملُ ما في الكلام

إعرابُ النون

وتصريفُ التاء

وأجملُ ما في الشعراء

نسونة العالم

وتأنيث الأشياء.

()

شعراء

لنا في هذا الوطن شجرة

في الشجرة عصفور،

له رئة ولسان وجناحان

من أحواله أن يغني

باتّساع الشمس

والمطر

والعاصفة

وأن يطير

بلون الرغبة المطلقة.

لنا في هذا الوطن شجرة

في الشجرة عصفور

وان يكن ثمة فخاخ

وبنادق صيد؛

فللعصفور أغنية وجناحان

وللعصفور أن سقط،

دمٌ يرحلُ قويًا في الشجرة.

()

مقهى

ضحكنا كثيرًا في المقهى.

كان المخبرُ يجلسُ مرتبكًا

خلف جريدته،

يذوّب سكرًا في كأسٍ خائفةٍ من فمِها

وحين مرّ النادلُ

قريبًا من ضحكتنا

طلبنا قهوةً أخرى.

شتاء 1987

()

_____ جمرة الله

انطفأتْ جمرةُ الله في رأسي.

هي من فخخني

: عينان من عصارةِ الريح

عينان هما ضفتان للوهم.

انطفأتْ جمرةُ الله

رمتني شهوتي في حروب لم ارتكبها

والقبائلُ التي غادرها الصهيلُ

سدّتْ حنجرةَ الضوء

فماذا سأفعل أنا ياربي

الذي أحبك

لأنك خلقت المرأة والنار.

فقط أهتف:

أيها الجندي اتبعني

المرأة وحدها تكفي لمعرفة الله.

()

_____ قهوة المساء

لأنني أحبّ

ترقص في فمي حروفُ الضحك.

لأنني أحبّ

أفكّرُ في القبلةِ بحواسٍ إضافية

وأخبئُ قليلا من سُـكَّر الصّبحِ

لقهوةِ المساء.

()

ضحك

إلى : أبو روزا وولف

معلقًا بحبلٍ لا أراه.

إلى أين تمضي الأرغفة،

التي تجهل الضحك؟

والمقاهي التي لا تنتظر أحدًا ؟

معلقًا بحبل لا أراه

في الظلمة الحارة

حيث لاشئ يفضي الى شئ

ولا أحد يعرف أ حدًا.

أنا صاحبُ القميص الأزرق

والحقيبة الحدباء

يدي ملحُ خيالي

أغمسُ أصابعي في حبرِ الرؤيا

وأرمي طلقة الشعر

أبعد من مرمى الوهم

هكذا:

أفترضُ حربًا طويلة المدى

من أجل ضحكة في السرير.

()

بياض _____

المرأةُ الوحيدةُ في علاقةِ الليل

خشبٌ طافحٌ في الفراغ

خشبٌ عاطلٌ

هذا الذي أهمله خيالُ النجارين

وغادرته حكمةُ الفأسِ

وشهوةُ النار .

***

خُذي مِن يدي لباسَـها

ومن جبيني ضوءه السريّ

ومن عينيّ زيتَ المدى.

خذي مِن فَمِي هدوءَه النظيف

ومن قميصي ضحكةَ الطفولةِ

وخفقة الند ى.

فقط أشتهي بياضًا بسيطًا

أرسمُ ظلّي عليه.

()

البئر

1

كبرتُ يا أمّي

وكبرتْ قمصاني معي.

كلّما حفرتُ بئرًا

صار الماءُ

غير الماء.

فترفقي يا فأس اللحظة

ريثما تنقذف أسئلتي

وتشكّلُ طينَها

ويصيرُ جسدي أيّ شيءٍ بعد الأرض.

كبرتُ يا أمي

وكبرتْ قمصاني معي.

كيفَ أرمّمُ من حبري

أقواسًا للمعنى

ولغتي دخانٌ

وريحي قمرٌ أعمى.

***

كبرتُ يا أمي

وكبرتْ أحذيتي عليّ.

كانت مائدتي مترعة بالألوان،

لكنّ الظامئ يهذي:

ماذا تخبئ البئرُ من أوهام ؟

2

رأسي بئرٌ

تلتقي حولها قوافلُ الحلمِ

كلّ ظامئٍ يشرب،

وكلّ شاربٍ

يلعب.

()

ضيف

كانت وحدها

والشتاء ليله جبلٌ من نملٍ وسواس،

وكنتُ ضيفَها المتيّم

متكئا على سكاكين قلقة،

أنقرُ حافةَ رغبات هاربة.

وحدها

لها خجل جريء.

بوهجٍ حار يلمعُ زغبُ حمرتها،

زغبٌ قويّ

يشرئبُ متلذذًا قساوة دبيب حالم،

نابضًا برعشةِ غابةٍ نائية

سكانُها يعطشون.

لعينيها ظلالٌ مبللة بندى صباحات

تنهض على عجل.

فيهما ما يكفي

لتدمير جدوى الخيال

وما يكفي للإطاحة بكلّ رغبةٍ

في الموتِ بعيدًا

**

قلت: كوني رفيقتي تتعلمين الموسيقى

تكتشفين أنّ الفتى الآخرَ

ليس مثلي.

وأن الوقت الذي مضى

رُسِم بخيالِ كافكا

وألوان هتلر.

()

التعب

التعب؛ أن يكونَ الكلامُ مديحًا لكلبةِ الجيران

التي تعضّ المارةَ وهم يتطلعون بقلق

إلى سراويلهم الداخلية.

التعب؛

أن ترى الخوفَ يمشي واثقًا

الى سريرك،

من دونِ أن تسأل:

لماذا يا ربِّي

يرتدي الأباطرةُ

رؤوسًا كبيرةً

وصلعاء من الداخل.

أن تنظرَ في بلاهةٍ

الى صورتكَ

لترى معطفًا أحدبا

يتبولُ مذعورًا من ظله.

ليس التعبُ أن تسقط؛

بل أن تُعلن وأنتَ في كامل قواك السفلية

هذا أنا.

ثم تتدحرج بأنفك الى المزبلة

تمامًا كجرو فخيم

يرتدي خوذةَ الحراسة

وينبحُ فخورًا بذيله.

وفي آخرِ الأمر،

يقفُ مشدوهًا أمام عظمة المأدبة،

متحسسًا بشبق فائض،

جدارَه الخارجي.

()

الجندي

1

مِن ملحٍ يداي

وقميصي الكاكيّ

ظله أبيضَ.

لا مساء يؤويني،

لكي أمشي اليه

ولا وطن لكي أناديه

وأشرب حين أعطش

من يديه.

2

أنا جندي

أسمّي الأذنَ

حارسَ ليل

والعينَ ليلا آخر .

3

أنا جندي

للقلبِ بابٌ

كلّما أفتحهُ يُفضي إليك.

أ غدو مِن حربٍ

إلى حرب،

وأحرسُ فاكهةَ سواي.

4

الآن حمامةُ ريحٍ تفلتُ من الشبكة.

وأنا الجنديّ الضال

ذئبةُ وسواس طريقي

أشعلُ لفائفَ القلق

و أسمّي **اللحظة**:

خيالا أعرج.

()

بكاء

بصوتٍ قليلٍ

اتكأتُ على أذني

رأيتُ حبيبتي

عقربًا في ساعة غيري.

بصوت أقلّ

أغلقتُ الريح ورائي

ومشيت.

()

فوضى

تعشـقني فوضاي.

الخمرةُ وحدها سيدةُ حبيبي،

قالتْ غزالةٌ يلعبني سرُّها الفسيح

وجلستْ حَدّ سريرِ الحبر

تلوّنُ وسادَتها بأمطارٍ بائدة.

كانت الساعةُ تغادرُ عقاربَها

حين ضربت العاصفةُ أوتادَها في

قلبي.

أدركيني؛ كيف أرتّب فضائحي

: الثيابَ الرخوةَ قبل النوم

النافذةَ المعطوبةَ الأفق

الفاكهةّ المريضة في آخر الليل

والنساءَ،

النساء،

النساء.

تعطّلَ الجنديُّ حدّ الموسيقى،

تعثرت أذناهُ فيه

أو في جثة لسواه.

**

تكذبُ المرايا

هذا دخاني.

فاحترقي أيّتها المفردةُ السيئةُ الخيال

لأنني سأعجن من رمادِ الحلمِ

أغنيةً للتنفس الجريء

وبالعسلِ ألونُ امرأتي التالية

وأصرخني علانية:

تعشقني فوضاي.

()

_____ لا احد

دائما قبل أن أنام

أفكر في أشياء أجهلها

في ضيوفي وهم يدخلون بيتي

من باب الأمس.

في الهواء يترنّح مسلوقًا

على أرصفة طرابلس.

في الخيال

عندما يختفي الأحباء فجأة.

عندما أكتبُ رسائل لا تصل

عندما أسكبُ قدحين من الشراب؛

قدحٌ لي

وقدحٌ لا أحدْ.

()

وهم

لاشيء بجمعني بوجهي

سوى وهمي،

فهل يكفي أنتِ وأنا

كأنّنا لمْ نخسر الحربَ

أنْ نرقصَ

وبأطرافٍ ليستْ لنا،

نفترضُ حديقةً سياجها المدى

لربّما نلهو قليلا

ولربّما ننسى

أننا ذوبنا زبدة العمر سدى.

**

لاشيء يجمعني بوجهي

سوى خوفي.

فماذا نسوّي بهذا الرماد؟

ومَا مِن ضحكةٍ تبللُ صوتَنا

لكي نرسم القمرَ الذي نشتهي.

ماذا نصنعُ برمادٍ يفصلُ بيننا

بين أحلامنا التي عنست

وبين ألعابنا والتراب ؟

هل يكفي

أن نتكئ على بعضنا

ونمضي إلى آخر الرمل

نمخض شكوة أوهامنا.

**

ماذا نصنع بهذا الرماد،

بالشوارع التي تذبلُ تحت نعالنا ؟

هل سيكفي

أن نتحسّس أعناقَنا

ونختبئ خلف السرير عاريين

لنهتف معًا

ما أجمل الحياة

لأن أوهامَنا معنا

لأن قبلاتِنا

لحظة أن نخاف

تظلُّ جديرةً بنا ؟

فهل يكفي

أن يفقدَ أحدنا أظفارَه

لكي يحفرَ ظلا هزيلا

لأسراره الباردة

ثم نهتفُ:

ما أجمل الحياة.

———

طرابلس: صيف 1989

()